## حدث في سجن (ابو غريب)

# جرائم قلع العيون تعقب تنفيذ الاعدامات مباشرة

عبد الكريم العبيدي

(كرام لعدوم قلع عينيه) ! هذا ما كان يحصل في عهد النظام المقبور.. اطباء على موعد اسبوعي لحضور حفلات الاعدام في سجن (ابو غريب)، وقلع عيون المعدومين وتوزيعها في اروقة وزارة تنشرت فيها عصابات الصفقات والممارسات المشبوهة التي شوهت اقدس مهنة انسانية.

### اطباء قلع العيون!

يقول (ح أ أ) (قصص هذه الجرائم تبدأ من تبليغ ادارة مستشفى (...) تأمر اطباء العيون بارسال طبيبين او ثلاثة اطباء اختصاصيين، يشترك معهم اطباء من مستشفى الرشيد العسكري، وآخرون من جهاز المخابرات العامة. التبليغ يكاد يكون اسبوعيا (ثلاثاء من كل اسبوع تقريبا) تنطلق سيارة الاسعاف عصراً بعد نهاية الدوام مباشرة في ابشع مهمة اجرامية.. قبل الغروب تتم التحضيرات اللازمة لتنفيذ الجريمة. وبعد اذان المغرب تبدأ (الحفلة)!! "ابطال الحفل" يضيف الراوي (هم الجلادون الثملون دائما.. مخلوقات دنيئة، تتعاطى المخدرات وتتعامل مع المحكوم عليهم بالاعدام بسخرية مقيتة وبكلمات نابية وشتائم!).

(وبعد انتهاء الفصل الاول.. الفصل اللذيذ تلقي بالنكات والضحكات، يتم تسليم الجثث الى الفريق الطبي (الانساني، المتخصص بقلع العيون!) الذي جاء خصيصاً لتنفيذ هذه الجريمة، حيث يتم سحل الجثث ووضعها على (سدية)، ومن ثم البدء بقص الاجفان بشكل دائري للتمهيد لخطوة اخرى، وهي قلع العيون من المحاجر ووضعها في (درام) صندوق معدني خاص مليء بمادة الفورمالين لحافظة)!!.

(حفلات الاعدام والجرائم التي تعقبها، كثيراً ما تخللتها فواصل (فكاهية جداً) منها يقول محدثنا: (تعرض السائق (...) الذي كان يرفق الفريق الطبي (الشالانعي) الى صدمة نفسية حادة نتيجة مشاهداته الكثيرة لحفلات الاعدام، وما رافقها من وقاحات لجلادين وسوء الاعدامات، من باب التندر واثبات الفارق الكبير بين قسوة قلوبهم وارتجافة يديها).

فاصل آخر (يضيف الراوي): بطله الحارس الجديد الذي ظن ان صندوق (الجريمة) يحوي وجبة غداء فاخرة للفريق الطبي، وما ان فتحه حتى فوجئ بمئات العيون الملوعة الغاطسة بالفورمالين)!

فواصل اخرى يرويها بأسى منها: (ما تعرض له بعض الاطباء الشرفاء من اضطهاد وعقوبات متعددة نتيجة رفضهم للمشاركة بارتكاب هذه الجرائم.. واخرى عن صفقات (نظيفة) تتم بين الطبيب الممتنع عن الذهاب والآخر المتطوع للمشاركة بدلاً منه مقابل ثمن)!

بعد ايداع العيون المقلوعة في بنك حفظ العيون في مستشفى (...) يضيف الراوي (تبدأ الصفقات السرية المشبوهة بين الاطباء ذوي (المهن الانسانية) والمرضى من عراقيين وعرب لغرض اجراء عمليات سرية وبمبالغ طائلة.. إذ يتحول الاجر الرسمي وهو (75) الفاً الى (250) الفاً.. لقد كان العراق المولل الرئيس في الشرق الاوسط في عهد (العبد المؤمن صدام)!؟

### مستشفى (...).. الوجه الاول

وجهان لمستشفى (...)، وصف ملامحها مصدر يشغل منصباً رفيعاً فيه: فضل عدم ذكر اسمه، قال: (مستشفانا تخصصي، تأسس في العام 1985، ويتألف من قسم الطب وجراحة العيون واقسام تخصصية اخرى، اضافة الى عيادة استشارية (فحص وعمليات) وقسم عمليات كبرى فيه (10 صالات، وقسم عمليات صغرى للحالات المرضية اليومية، فضلاً عن فروع لجراحة القرنية والحول، وشعبة العدسات اللاصقة.

تجرى في المستشفى نحو (40) عملية جراحية يومياً لمرضى تتراوح اعمارهم بين (ساعة واحدة الى 90 سنة او اكثر) ويستقبل مستشفانا ما يعادل 1000 مريض يومياً وصل في احد ايام رمضان الى (1800 مريض)..

يختص المستشفى بعمليات رفع الماء الابيض (ساد) بالامواج فوق الصوتية وفي السنتين الاخيرتين بدأنا بقص السائل الزجاجي، وهي عملية صعبة وجديدة في العراق.

واوضح المصدر انه وبجهود العاملين فقط استطعنا حماية المستشفى من عمليات السلب والنهب التي اعقبت سقوط نظام صدام باستثناء بعض (السرقات)، واعلن ان الاميركان لم يزودونا بأية مساعدات حتى الآن، في حين وصلتنا مساعدات عديدة من اطراف دولية مختلفة.

### الوجه الآخر

هو الوجه القبيح لمستشفى (...)، الذي ارتكب بعض الاطباء العاملين فيه ابشع الجرائم غير العلنة بحق الموتى المعدومين، فتحولت الى مستشفى لقلع العيون بدلاً من تطبيبها.. حدث ذلك بمباركة صدام وباشرافه وبمتابعته الشخصية!..

(انها اوامر من جهات عليا، فماذا نفعل)!؟ يعترف المصدر نفسه ويضيف: (كل من كان يرفض الذهاب الى سجن (ابو غريب) يتعرض الى عقوبات شديدة، وينقل الى البصرة)!.

ويروي المصدر الرفيع المستوى قصة جرائم قلع العيون من حيث المعدومين، فيقول: (هناك مركز صحي في سجن (ابو غريب)، يوجد فيه ضابط ارتباط، ويعد مهمة لوصل بيننا وبين (اوامر الجهات العليا).. حيث يبلغ من جهات لا يعرفها عن طريق الهاتف بموعد تنفيذ الاعدامات، ويزود بأمر ارسال اطباء من مستشفانا وربما من مستشفيات اخرى!!.. وعندما يذهب الاطباء يتم قلع العيون وتجلب الى بنك العيون في المستشفى!!

لقد حصلت المئات من هذه الحالات بل (الالوف)!!

صدام بنفسه، امر بإحضار ثلاثة اطباء اختصاصيين كبار لا اريد ان اذكر اسماءهم وطلب منهم الاشراف على اقتيام بعمليات (جديدة) للعيون بدون جراحة، وطلب من عبد التواب ملا حويش متابعة هذا المشروع والاشراف الشخصي عليه!! ولكن ارجو ان لا يساء لعمليات الزرع هذه، فهي نعمة لفاقدي البصر ولا يهمنا من اين تأتي العيون؟!).

(انا شخصياً لو قيل لي اذهب الى سجن (ابو غريب) في ذلك الوقت لرفضت)، يضيف المصدر قائلاً: (اعتقد ان رأي الذين يتلخص بضرورة موافقة الشخص قبل اعدامه، ولكنهم مجرمون ولا يمكن ان يوافقوا على قلع عيونهم.!!) هنا تدخلت وسألت المصدر.. من المعدومين ساسة وابرياء.. والقضية تعتبر جريمة بشعة شرعاً وقانوناً.

طبعاً: اجاب المصدر

وحدثت آلاف ثرات من قبل اطباء مستشفى (...)؟

«صحيح!!

### جريمة

الحامية (...) بيّنت ان جريمة قلع العيون هي اعتداء على حرمات الميت، وهي جريمة بشعة يحاسب عليها القانون..

محققا عدل قالا: وفقاً لأحكام القانون لا يجوز الاعتداء على حرمات الميت او التمثيل به او اقتطاع جزء منه، وعليه فإن اقتلاع العيون من معدوم جريمة بشعة يجب ان يقدم مرتكبها للمحاكمة باعتباره مجرماً!!.

### اخيراً!

كل الذين اجرينا معهم حواراً التمسوا عدم ذكر اسمائهم بسبب خطورة الموضوع وتدهور الوضع الامني.. بعضهم انكر كل الحقائق التي عرضت عليه، ولكنه اعترف بها وزاد عليها بعد ان اكتشف ان السر جاوز الاثنين وبات شائعاً!

## قبل سقوط التمثال

# كربلاء وأيام الحرب وصور من لغة الكلام

كربلاء / المدى

> حين اقتربت الحرب بعد أن كانت تخطو نحو الحدود وتبحث عن بحار قريبة وأراض ملاصقة .كانت مدينة كربلاء كأنها تريد أن تزيل عنها آثام السنوات التي لم تنفع معها الوقوف بوجه حربها المعلنة والموشومة بقوانين طوارئ الإعدامات .كانت الأخبار تتوالى وكان المناقشون قد توزعوا الى ثلاثة معسكرات .الأول .كان يمنّي نفسه ان تقترب الحرب سريعا وليشهد عام 2003 أول اطلاقة مدفع أو طائرة أو بندقية أو أي سلاح آخر لتنتهي المأساة .وكانت ألسنتهم تحدد الصور القادمة عبر وسائل مختلفة تدفقت اليهم من خلل الاستماع الى الإذاعات أو عن طريق جهاز ستلايت مخبوء تحت أحد بيوت الدجاج فوق سطح الدار .هؤلاء كانوا قد بدأوا يطلقون العنان لألسنتهم دون خوف بل ازدادت حدتها مع أول دبابة اخترقت أرض البصرة وتوجهت الى الناصرية .

عندها أعلنوا للمعسكر الثاني ان النهاية حانت وما عليكم إلا التسليم لها لأنها أي هذه القوات جاءت دون ان يستطيع (القائد الضرورة) ان يوقفها .. وكان المعسكر الثاني من ساحة النقاش المسموع يقول ان ما جاء وامن اجله لن يتحقق بالشعارات وسيكون احتلالا لن ينجلي عن العراق الا بعد ان ينتهي آخر عراقي يفكر بصوت عال .كان المعسكر ان يتبادلان التهم.. بين من هو راغب بمجيء القوات الأمريكية ليخلصه من صدام مهما كانت السبل وكانت تهمته انه يساعد على تشويه تاريخ العراق وحضارته الإسلامية.. بينما كانت التهمة الموجهة الى المعسكر الثاني انهم يعشيون وان لم ينتموا..

..ومعسكر ثالث لم يكن له صوت لكن دواخله كانت مزيجا من التوتر والترقب والخوف من المجهول . فلم يكن أحد منهم يطل على زقاق أو فرع إلا وكانت عيناه تحويان الجدل الدائر في دواخله.

### صورة أولى

الجميع في الليالي التي سبقت الحرب.. أعلنوا ان الدم للسفوح سيواصل نزيفه ..وانهم لا يرغبون بصدام، وأعلن المعسكر الثاني بآرائه من وجه الطاغية. وكانت المقاهي والطرقات قد امتلأت بأحرف مشتعلة. وعملية الاستماع الى الإذاعات كانت هي البوابة التي يطل منها العقل على المناقشة.. الصوت أخذ بالخروج الى العلن وهذه فضيلة لا تنكر.. الحفر الكثيرة وأكياس الجنفاص ملأت الشوارع، وامتلأت المدارس بأكداس العتاد، وتحولت بعض الدوائر الى خندق لعناصر القيادة التي لا تعرف ماذا تفعل. كنت أراقب الوضع.. لم اكن ادخل البيت، وكان (الرفاق) قلقين يعرفون ان الصوت بدأ يأطهار حروفه الواجهة. وقد عرفوا انهم غير مرغوب فيهم من كل معسكرات النقاش حتى التي لم يكن لها صوت..

قال لي أحدهم وكان من أقاربي: انهم يكسوننا في هذه الحفر ومعنا بنادق الية قديمة ؟

سألته :هل حقا تستطيع من مكانك هذا ان تصد العدوان ؟

قال :المسألة لا تتعلق بأمريكا بل انني لا ارغب بخوض حرب أخرى في سبيل مجد لا يصنعه إلا لوهم.. وأنا اعرف انهم سيدخلون بغداد.. واضاف :بالأمس مر علينا مزيان خضر هادي .. كانت كلماته ترتعش.. ولا يعرف ماذا يقول وعرفت ان الهزيمة ستكون مصيره.

كان ذلك قبل يوم من تمكن قوات الأمريكية من محاصرة الناصرية وتوجهها الى مدينة النجف الأشرف.

### صورة ثانية

كانت السماء قد تحولت الى عاصفة حمراء لم يشهدها تاريخ الأنواء الجوية مثيلا .لم اكن اعرف للكوت في البيت .. كنت أدور في الشوارع مع الأصحاب من المعسكرين ..وكانت التقهى الوحيدة في شارع قبلة الإمام الحسين (ع) مأذنا.. ثلاثة أيام و العاصفة الحمراء تأكل العيون وتمنع الأفواه من فتح أشداقها.. ولأن التقهى قريبة من القبر الرئيس (للرفاق)، فقد رأيت لخوف على وجوههم.. لا يعرفون ماذا يفعلون .كانت السيارات قد هيأت وقودها للهرب.. بينما كان الناس يسألون هل يقتربون من كربلاء ؟ قال المعسكر الثاني: لقد دخلوا بيوت الناصرية واخذوا يكسرون الأبواب بحثا عن البعثية.. لا يراعون حرمة المرأة. رد المعسكر الأول: وهل كان صدام يراعي حرمة البيت أم كان يزج بالعائلة كلها الى السجون وبأيدي هؤلاء الانذال بل وينسف البيت حتى لا يبقى حجرا على حجر.. ان عصر الحرية قادم و ها نحن نتنفس عبيره وقبل ان يقترب. رد عليه الثاني: انه الاحتلال وغدا ستقولون غير هذا الكلام عندما تتوضح الحقائق. عندها نهض أحدهم، وفتح أزرار قميصه، واخرج صدره وظهره: انظر الى هذه الآثار.. إنها آثار التعذيب عندما كنت في السجن، وآثار مقتل أخي الذي لا أعرف في أي مكان دفن (بعد الحرب.. اكتشف السجين السابق .ان أخاه كان أحد شهداء المقابر الجماعية الأربعين في كربلاء) .. واضاف بعصبية ظاهرة، ..وقد اطمأن تماما الى هرب المسؤولين الى جهة غير معلومة .. ان على أبناء الناصرية ان يفرحوا لأنهم كانوا يشكلون نصف السجناء هم وأبناء كربلاء. رد الثاني: المشكلة ان أي حديث عن الحرب إذا لم يكن يواكب رأيكم فان التهمة هي اننا من اتباع صدام.. ونحن نقول انه احتلال.. ونخاف أن يأتي اليوم الذي يقول فيه الناس ان أيام صدام أرحم من هذه الأيام. صرخ الأول: انهم انه سيذهب عنا الى غير رجعة وليكن ما يكون لأن القادم لن يكون اكثر عذابا من صدام!

### صورة ثالثة

كانت الحرب قد طرقت باب كربلاء في العشرة الأواخر من آذار، مثلما طرقت باب الجنوب وبغداد ومدن العراق. ولأن الناس يتوقعون دخولها اهتزت الأرض. فارتجفت الجدران ومن كان مختبئا بينها ..وكان النهار الذي تعطل فيه العمل قد سمح للناس ان يتناقلوا الأخبار، ضربوا دائرة المخابرات والأمن ومبنى فرع الحزب .له يحدد أحد ان كانت تلك الطائرات التي تحوم في سماء المدينة هي التي ضربت أم هي الصواريخ التي انطلقت من البحر ..وكان المتطوعون بالاجبار يحتمون خلف أكياس الجنفاص ..وداخل الحفر الصغيرة والشقوق الأرضية في أحياء المدينة ..والنقاشات تترى. الموتى كانوا يبقون تحت الأنقاض.. في حين يبقيت القلوب تترقب لحظة ان يقصف مبنى المريد والاتصالات وهم يدعون الله ألا يضرب لأنه يقع وسط المدينة ..وبقيت الطائرات تقترب من أسطح المنازل و لدبابات العالية ذات الطوابق الأربعة دون ان تواجه بمقاومة تذكر ..قال المعسكر الأول للمعسكر الثاني ..انظر..الشعب لا يقاوم وهذا دليل على كراهيتهم للنظام.. فقال المعسكر الثاني: نحن نعرف ذلك.. ولكن أية حيرة تلك التي وضعنا بها صدام بحيث جعل الموطن يقبل بالاحتلال ليخلصه من مأساة عمرها 35 عاما؟ فحصل على جواب: ها انتم تقولونها بألسنتكم. فالصمت أجدى.

### صورة رابعة

سمع الجميع في صباح أواخر شهر آذار هدير دبابات وصراخ العجلات ..بينما اقتربت طائرات الهليكوبتر / الأباتشي السوداء المفتوحة الأبواب من الرؤية المجردة ..وصار بإمكان الجميع ان يرى تلك الأسلحة السوداء وهي توجه نحو الأرض، تناقلت الألسن ..انهم على طريق حي النصر، وقد قطعوا طريق النجف نهائيا وسيدخلون كربلاء ..هرب الرفاق من خنادقهم، بينما خرجت امرأة من أقاربي تستنجد بي ان اخفي ابنها في بيتي حتى لا يعتقله الرفاق الذين ظلوا وحدهم في المدارس / الشاحب ..كنا نجلس على الأرصفة نراقب ما يدور في السماء، قال جاري: انهم لا يضربون الذي إذا أطلق عليهم النار ..لذلك ترى الجميع في الطرقات وعلى الأرصفة ..وقبل ان يكمل كلامه ..انطلقت صواريخ الأباتشي باتجاه إحدى المدارس لتتصاعد النيران اثر انفجار أكداس الأعتدة. لم نكن ندرك ان المتطوعين العرب وصلوا كربلاء ..فقال جاري الآخر: انهم العرب يقاومون القوات الأمريكية بحثا عن المال أو الجنة ..قال آخر: ان صدام أعطاهم المال وبالدولار مقابل الدفاع عنه بعد ان عرف إن العراقيين لن يقاوموا. جاء من بعيد رجل يركض، ثم تبعته مجموعة عوائل باتجاه مركز المدينة، لقد التفوا حول المدينة وقصفوا البيوت وهدموها وسقط العديد من الناس بين قتيل وجريح، رتل دبابات ومدرعات في اطراف المدينة ..قال آخر وهو يواصل جريه: ان المقاتلين العرب هم أصل البلاء.. فجنود الأمريكان لا يعرفون ان هناك عائلة إذا ما انطلقت نحوهم رصاصة واحدة.

..قال عبد الرزاق: في فرعنا دخل سبعة منهم.. كانوا بين الخائفين وبين ان يبحثوا عن مكان آمن لمقاتلة الأمريكان ..وبسرعة أدخلتهم بيتي ..قلت لهم: إذا أطلقتم طلقة واحدة من هذه البنادق القديمة التي لا تقتل عصفورا.. ستقتلون جميع سكان المنطقة. قالوا لي نحن في حيرة من أمرنا! ويبدو ان الآخرين غرروا بنا وإلا ما هذا الذي نراه؟ قلت لهم: إذن عليكم ان تفسروا الأمر ..الا يعني هذا ان العراقيين لا يريدون صدام بينما انتم تقاتلون من اجله ؟

فاخذوا يبكون على تلك الساعة التي غرروا بها وصارت أمنيتهم ان يعودوا الى دولتهم. يقول عبد الرزاق: أبقيتهم في بيتي اسبوعا ريثما تنتهي غبار المعركة ..وبمساعدة رجال الدين أرسلناهم الى بلدهم..

### صورة خامسة

في يوم السابع من نيسان كانت الجندات يجبن شوارع كربلاء ..اتذكر ان الأيام السابقة كانت مسرحا لرؤية ما لم يره أحد من قبل. كان الجنود في حالة يرثى لها، وكانوا يوزعون ابتساماتهم هنا وهناك بحثا عن الأمان. قال واحد من المعسكر الأول: انظر الى وجوه الشقراوات..انهن يستحقن ان يبتسم لهن أحدنا .. رد عليه المعسكر الثاني: عليك الا تكون متفائلا اكثر من اللازم ..لقد قيلنا بما يجري ولكن ليس الى حد فتح حبيب بقوات الاحتلال: كان هناك شباب.. يسألون أية مجندة يحاولون الاقتراب منها ..ومهما كانت معرفته باللغة الانكليزية فان السؤال الأكثر طرحا كان ما هو اسمك. كان هناك شاب أخذ قطعة من الورق المقوى وراح يحركها أمام وجه إحدى المجندات، سأله صديقه (ولك شتسوي؟) فأجابه وهو يبتسم ويقوم بحركات مسرحية: (ولك حلوة. جنهة لعابة مو احسن من قدائبي صدام؟!).

### صورة لم تكتمل بعد

لم يزل النقاش محتدماً بين أصحاب المعسكرين.. وما زال المعسكر الصامت يواصل صمته ..بل أخذ يعبر عن فرحته وهو يمارس طقوسه الدينية .وكأن كل ما كان يرجوه هو ان يشعر بحريته وفق هذا الاتجاه ..ولان المعسكرين لم يتوصلا الى نتيجة مرضية حتى الآن، فان السنة الأولى جعلت من الذاكرة تستعيد أغلب تفاصيل ما حدث بل سحب معه بساط السنوات الخمس والثلاثين.
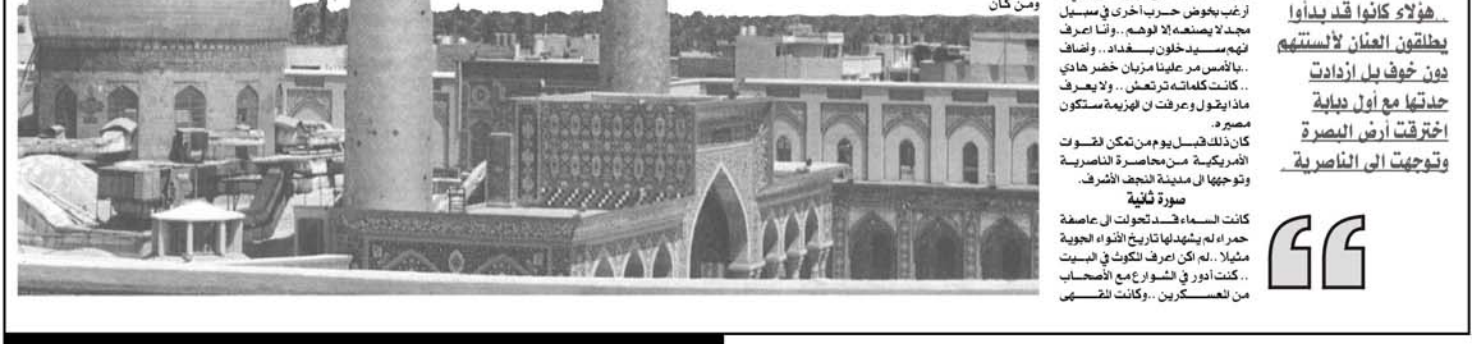
..وما زلت النقاشات تقول: وماذا بعد العام الذي نتهى؟ وما زال الجواب كما قال أحد المثقفين في جيب المعسكر الأول لان النظرة المستقبلية كانت لديه بينما بقيت النظرة التشاؤمية في جيب المعسكر الثاني. وغيوم أذار تنعش الذاكرة ويبقى العقل ينظر الى السماء ان كانت هناك طائرات أو أن مشهد أحد الرجال .قد قفز الى واجهة النقاش، وحكاية هذا الرجل انه في اليوم الخامس من آذار وقد بدأت ان تقدمت القوات الأمريكية نحو بغداد وصار الكلام المباح يعلن في كربلاء ان الحرب ستنتهي بمقتل الطاغية الذي لن يهرب فبدأ وتلك خطيئة التفكير الوحيدة .قام هذا الرجل بحرق صورة صدام عند مفترق طرق بين ثلاثة أحياء وكانت موضوعة أمام إحدى المقرات الحزبية الخالية من (الرفاق). لكنه سارع بعد ساعات قليلة وبدأ هو وأولاده يمسحون الصورة الرسومة على الكاشي الكربلائي.. سأله أحد المارة: (هاي شتسوي؟) فابتسم الرجل ابتسامة الخائف وصاح ليسمع الجميع (عمي أمسح الصورة أخاف يرجع صدام ويعدمنه؟)....